



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة " الإنسان 2020/01/25

المسقة الثانية عشرة - العدد: 4529

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

.....

### الكلمة الصوت.. والكلمة الفعل (استيعاب العدوان)

إذا كان صلاح جاهين قد رأى عدوانه، وتحسس الدم بيديه، وحال دون أن يطلقه على آخر؛ عجزا عن الإيذاء؛ واستيعابا لجرعة الأمان الأولى، فكيف السبيل إلى توجيه طاقة عدوانه الطبيعية، دون كبتها، وقد تأكد عجزه عن القتل (الذي لم يتردد سرور في الإعلان عنه، وكأنه قاب قوسين من الإمكان الفعلي؟) عَجَزَ جاهين عن القتل، نتيجة لجرعة الأمان؛ فكيف استوعب تلك الطاقة؟ وصلنى أن "الكلمة" أصبحت عند جاهين من القوة والحضور، بحيث استوعبت كل طاقة العدوان تقريبا.

فالكلمة ما زالت عنده هي الكائن الحي محدد المعالم، قوى التحدى، القادر على كل شيء، وكأنها الفعل ذاته، وليست بديلا عن الفعل، أو رمزا مبدعا؛ بل هي الفعل من عظم حملها للمعنى، كأنها "اللوجوس" الذى كان فى البدء، كأنها الحياة فى ذاتها، كأنها كافية لتغيير الكون، متى أصبحت هي هي. وصلاح يفرق بين الكلمة الصليل، والكلمة الثورة النذير البشير، ويرى أثر الأخيرة على الشر أثرا قاتلا مغيرا بالضرورة:

أنا قلبى كان شخشيخة أصبح جرس  
جَلَجَلْتُ به صحبوا الخدم والحرس  
أنا المهرج.. قمتو ليه خفتو ليه  
لا ف إيدى سيف ولا تحت منى فرس  
(2) (23/217)

وحيث تحمل معناها وقدرتها على الاختراق، فهي أقوى وأقدر من السيف والفرس؟  
إن ما أود إبلاغه هو رسالة تقول:

إن صلاح جاهين قد حمل قلمه سيفا فاعلا، ربما يرد به على صلاح عبد الصبور وهو يكاد يرفض أن يحمل الفارس قلما<sup>(3)</sup>، مفضلا الفارس الذى يحمل سيفا، فيرد جاهين هنا ليؤكد بصراحة ومباشرة: أن الكلمة عنده هي سيف من حيث هي بذاتها: قوة وقدرة ومسئولية، فى أن:

عجبتنى كلمة من كلام الورق  
النور شَرَق من بين حروفها وبرق  
حببت أشيلها ف قلبى، قالت حرام  
دا انا كل قلب دخلت فيه اتحرق

(17/214)

إذنا كان صلاح جاهين قد رأى  
عدوانه، وتحسس الدم بيديه،  
وحال دون أن يطلقه على آخر؛  
عجزا عن الإيذاء؛ واستيعابا  
لجرعة الأمان الأولى، فكيف  
السبيل إلى توجيه طاقة عدوانه  
الطبيعية، دون كبتها

الكلمة ما زالت عنده هي  
الكائن الحي محدد المعالم،  
قوى التحدى، القادر على كل  
شيء، وكأنها الفعل ذاته،  
وليست بديلا عن الفعل، أو  
رمزا مبدعا

بل هي هي الفعل من عظم  
حملها للمعنى، كأنها  
"اللوجوس" الذى كان فى  
البدء، كأنها الحياة فى ذاتها،  
كأنها كافية لتغيير الكون،

وعدم تحديده لكلمة بذاتها كما فهمها أحدهم أنها “الحب” جعل وصفه هذا يعود على أية “كلمة” ذات معنى فعلا، “الكلمة المعنى” هي “الكلمة الفعل” أي كانت، مادامت تحمل معناها بحق، وصلاح هكذا يعلن قوة الكلمة ورحمتها ومسئوليتها وفعلها في آن، وهو يعرف أمانة حملها حتى ليكاد يموت من إصراره على ألا يُطَيَّل (4)

وقد جسَّد الكلمة في رباعية بالغة الروعة، تشعرا - برغم اختلاف المقام - كيف كان يرى الكلام كائنا عيانياً حيا بحق:

صوتك يا بنت الإيه كانه بدن  
يرقص يزيج الهم يمحي الشجن  
يا حلوتى وبدنك كانه كلام  
كلام فلاسفه، سكروا ونسيوا الزمن

(73/242)

ونقف وقفة ثانية لنقول إن “الكلام” قد استوعب خلال تطور الكائن البشرى كثيرا من طاقة غريزة العدوان.. كما قد ذكرتُ في دراسة سابقة عن علاقة “العدوان بالإبداع”(5)، ولم يخطر ببالي أن الكلمة “اللوجوس”، هي في ذاتها إبداع نابض، حتى رأيت علاقة جاهين بالكلمة، وتذكرت في خبرتي في العلاج الجمعي كيف أن الكلام هو - من ناحية - بديل للعدوان، إذ يغني عنه، وكيف أنه هو هو في ظروف أكثر صحة: حاوي طاقة العدوان، وكأنه نما منها وبها فاستوعبها، واتضح لي الرؤية حين أعلن صلاح جاهين عمق هذا الاحتمال، من خلال حدس إبداعه الفائق في هذا العمل، ويبدو أن ما ذهب إليه هو من أصح الصحيح لو ظلت الكلمة هي التي كانت في البدء وليست الكلمة التي اغتربت وانفصلت وأصبحت صوتا خاويا، أحس أن هذه النقطة تحتاج إلى توضيح، حتى لو اضطررت إلى نوع من التكرار، فأقول: العدوان الفج طاقة دافعة، تحفظ مجرد بقاء البدائيين في الصورة البدائية، فلما اكتسب الكائن البشرى القدرة على الكلام، احتوت الكلمة قدرا من طاقة هذا العدوان الفج، فقامت (الكلمة) جزئيا بالحفاظ على التواصل بين البشر، وحركية الإبداع هي من أرقى تجليات التواصل، ويبدو أن الكلمة أصبحت عند جاهين كائنا مسئولًا سائلا فاعلا بالضرورة، فارتقى عن العدوان الفج واستوعبت كلماته طاقته، دون كبته أو إغفاله.

وصلاح يعامل الكلمة باعتبارها كائنا حيا: يراها متألمة، لعبية (بتشديد الياء)، فائرة، حائرة، قادرة، منذرة. وأخيرا يعلن رؤيته للكلمة من عمق جدلي جديد، حين يحتضن الخير فيها الشر، وبالعكس وهو يعلن خطورة الاكتفاء بهيكلها الظاهري، دون محتوى رحمها التوأم النقيض.

أنا قلت كلمة وكان لها معنيين  
كما بطن واحد وتوأمين زين وشين  
لو دنيا شر.. التوأم الخير يموت  
ولو دنيا خير.. الشر حايعيش منين؟

(101/256)

إن احتواء الخير للشر، بالمعنى الجدلي، يحافظ على الحركة في داخل الكلمة الفعل، وهذا ما تظهره هذه المقابلة الذكية الجدلية المتداخلة المتحركة، وهي ليست أبدا مجرد توازن تسوياتي. وكنت قد عنيت في دراستي السابقة للرباعيات (الفصل الأول) برؤية جاهين لوظيفة الكلام التسكينية التي لا ينبغي الإقلال من أهميتها، ولكني قد عبَّرتُ في هذه القراءة الحالية إلى ما بعدها؛ فالكلام حين يكون إزاحة هم وفضفضة(6)، إنما يقوم بوظيفة التنفيث دون الثورة، وصلاح لم يغفل هذا المعنى التنفيثي (الذي كان وما زال موضع اهتمام التفريغ النفسي والعلاج النفسي فترة من الزمان. والذي شاركته طويلا في تمجيده أكثر مما يستحق)، يقول جاهين:

عيني رأيت مولود على كتف أمه

حين تحمل معناها وقدرتها  
على الاختراق، فهي أقوى  
وأقدر من السيف والفرس؟

عجبتني كلمة من كلام الورق  
النور شرق من بين حروفها  
ويرق  
حبيبت أشيلها في قلبي، قاله  
حرام  
داانا كل قلبه دخلت فيه  
أتمرق

“الكلمة المعنى” هي “الكلمة  
الفعل” أي كانت، مادامت  
تحمل معناها بحق

إن “الكلام” قد استوعب خلال  
تطور الكائن البشرى كثيرا  
من طاقة غريزة العدوان.

لم يخطر ببالي أن الكلمة  
“اللوجوس”، هي هي ذاتها  
إبداع نابض، حتى رأيت علاقة  
جاهين بالكلمة.

يصرخ تهنن فيه، يصرخ تضمه  
يصرخ تقول يابنى ما تنطق كلام  
ده اللي ما يتكلمش يا كتر همه.

(104/257)

يقول صلاح - كما ذكرنا - فى المعنى التفتيشى نفسه:

يا عندليب ما تخافش من غنوتك  
قول شكوتك واحكى على بلوتك  
الغنوه مش ح تموتك إنما  
كتم الغنا هو ا اللي حايموتك

(105/258)

إذن: فقد قامت الكلمة الفعل عند جاهين، باستيعاب طاقة العدوان، دون أن يغفل طبيعتنا الدموية، ودون أن يتغافل عن العدوان المحيط من كل جانب؛ لكن اطمئنانه لجرعة الأمن، وثقته بقدرة الحياة، جعلاه يرى الواقع ولا يُستدرج إلى معركة دموية بدائية؛ فهو قادر على العيش وسط المخالب دون إلغائها، أو تمضية حياته فى صراعها الجانبى، بديلا عن الحركة الأمامية.

عجبنى عليك حواليك مخالب كبار  
ومالكش غير منقار وقادر تعيش...

(62/236)

الاختيار.. والرؤية

نقول ونعيد إنه لما قامت الكلمة بالواجب لتستوعب طاقة العدوان استغنى صلاح بها عن العدوان الفج، ولكنه لم يجبُ عنه؛ فكما أن طبيته اختيار، فإن كلمته الفاعلة اختيار والفرق بين الاستغناء عن العدوان والجبن عنه، وكذلك بين الطيبة الاختيار، والطيبة، الهروب، فرق صعب التحديد. والبحث عن الرؤية المصاحبة والقدرة الحقيقية، هو الذى يعرفنا الفرق بين الاختيار والهرب، وجاهين رأى وحدد قدرته، رأى الدم ورأى المخالب.. ثم ها هو يرى الخوف، ويحدد ضرورته وحواره معه، وهو يؤكد حرصه عليه، جنباً إلى جنب مع امتلاك القدرة فى تفاعل مستمر (جدل جديد)، وهو يحدد قدرته المتواضعة فى مواجهة هذا الواقع الحى المخيف.

سهير ليالى وياما لفيت وطفت  
وف ليلة راجع فى الضلام قمت شفت  
الخوف كأنه كلب سد الطريق  
وكنت عاوز أقتله بس خفت

(15/213)

هذه رؤية مكثفة تطمئننا إلى اختيارات جاهين، من موقع حجم الواقع بالداخل والخارج!! فهو إذ يكشف عن خوفه، يعلن أنه أيضا يعرف أن الخوف ضد الانطلاق (سد الطريق)، ثم إن خوفه من الخوف هو أيضا أكثر واقعية من إنكاره، ومن التسليم له معا.

وهكذا لم أمنع نفسى من تصور أن جاهين قد حافظ على الخوف، ورفض قتله حرصا عليه، وفى الوقت ذاته خوفا منه، أى أنه حافظ ضمنى على استمراره، باعتباره جزءا من طبيعتنا، وتأكيدا لذلك فإنه يرى الخوف ما زال قائما، حتى بعد اختفاء مبرراته التاريخية النابعة من ضخامة حجم المجاهيل.

كان فيه زمان سحلية طول فرسخين  
كهفين عيونها وخشمها بربخين  
ماتت...لكين الرعب لم عمره مات  
مع إنه فات بدل التاريخ تاريخين

تذكرت فى خبرتى فى العلاج  
الجمعى كيفة أن الكلام هو -  
من ناحية - بديل للعدوان،  
إذ يغنى عنه، وكيفية أنه هو  
هو فى ظروف أكثر صحة:  
حاوى طاقة العدوان، وكأنه  
نما منها وبها فاستوحبها

ما ذهب إليه هو من أصح  
الصحيح لو ظلمت الكلمة هي  
التي كانت فى البدء، وليست  
الكلمة التي اختربت وانفصلت  
وأصبحت صوتا خاويا

يبدو أن الكلمة أصبحت عند  
جاهين كأننا مسئولاً سائلاً فأجلا  
بالضرورة، فارتقى عن  
العدوان الفج واستوحب  
كلماته طاقته، دون كبتة أو  
إخفاله.

إن احتواء الخير للشر، بالمعنى  
الجدلى، يحافظ على الحركة  
فى داخل الكلمة الفعل، وهذا  
ما تظهره هذه المقابلة  
الذكية الجدلية المتداخلة  
المتحركة

(16/213)

ومع هذه الرؤية، نستطيع أن نأمن لاختياره الكلمة الفاعلة، دون العدوان المباشر، والطيبة المشاركة برغم فداحة الثمن وهو يؤكد هذا الاختيار، ويرضى بثمنه: وحدة واردة وألما مفيقا، دون انسحاب دائم حتى لو تخلى عنه الجميع، فى غيبوبة جنون نكوصى، وهو يحذرنا من تبادل القتل وسيلة للحوار، وذلك حتى لا يموت الحنان الخلاق فيما بيننا.

كل اللي فى الخماره صابهم جنون  
صبحوا الرجال يتبادلوا كأس المنون  
وبدم ونبيت انكتب عالجدار  
ياميت ندامه على اللي"قلبه حنون"

(19/215)

نعم: أن تختار الطيبة، وأنت تعلم كل هذا، فيا ميت ندامة على ماستلاقى من ألم الرقة، وشوك الوحدة، ولكن يبدو أن الاختيار الواعى، يساوى، وهو يستحق أن يُدفع فيه أى ثمن، ويبدو أن صلاح كما عجز (واستغنى) عن العدوان، عجز أيضا عن البلادة، مما يؤكد نوع طيبته المشاركة، لا الغافية:

قالوا الشقيق بيمص دم الشقيق  
والناس ما هياش ناس بحق وحقيق  
قلبي رميته وجبت غيره حجر  
داب الحجر... ورجعت قلبي رقيق

(20/215)

العجز عن الألم العدمى، وعن الإيلام

خلاصة القول إن طيبة صلاح، مع رؤيته، مع ألمه الناتج عن اختياره، مع استمراره، تؤكد جميعا أننا أمام عاشق للحياة بتناقضاتها النابضة المؤلمة البهيجة، وعلاقة صلاح بالألم، علاقة خاصة؛ فهو ليس داعيا إلى الهرب منه على طول الخط، ولا هو يستدعيه ابتداء، وفى الوقت ذاته، هو لا يطيق أن يلحق الألم بغيره، ولكنه لا يكره أبدا أو يتغافل عنه، وهو يطلب الشفاء منه "بلمسة من إيد حبيب"، وأخشى أن أقول إنه يكاد يعجز أيضا عن أن يصفق للألم، حتى لا تبدو كل اختياراته عجزا عن.. وليست فعلا ل... ومع ذلك، فإن داخله الذى جرع الأمان يوما، فأيقن بغلبة الخير فى الحياة، يطغى دائما أبدا حتى على قراره بالتألم أو الإيلام، دعونا نتذكر رباعية جاءت فى الفصل الأول تؤكد ذلك:

غمست سنك فى السواد يا قلم  
علشان ما تكتب شعر يقطر ألم  
مالك جراك إيه يا مجنون وليه  
رسمت ورده وبيت وقلب وعلم

(87/249)

صلاح جاهين يعجز عن استعمال الكره (الأسود)، لإعلان الألم حتى شعرا، بل إنه لو أراد أن يجرح نفسه دون الآخرين لما استطاع؛ إذ يغلب حلو الداخل (الذى ذاق الأمان) على قرار الخارج الذى أدرك الواقع، فالضياح العدمى والحزن الاعتمادى لم يتغلغلا أبدا إلى عمق وجوده، ولم يستطيعا أبدا أن يفسدا مفعول جرعة الأمان المبدئية، مهما كانت غير كافية.

أنا الذى عشت الزمان مضيعه  
بروح حزينه معفنه مضععه  
زرعت شجرة سنط لجل انجرح  
لقيتها شعر البنت ومفرعة

الكلام حين يكون إزاحة هم  
وفضضة (6)، إنما يقوم  
بوظيفة التنفيذ دون الثورة

قامت الكلمة الفعل عند  
جاهين، باستيعابه طاقة  
العدوان، دون أن يغفل  
طبيعتنا الدموية، ودون أن  
يتغافل عن العدوان المحيط  
من كل جانب

اطمئنانه لجرعة الأمان، وثقته  
بقدرته الحياة، جعله يرى الواقع  
ولا يستدرج إلى معركة دموية  
بدائية؛ فهو قادر على العيش  
وسط المخالب دون إلغائها، أو  
تمضية حياته فى صراعها  
الجانبى، بدلا من الحركة  
الأمامية

لم أمنع نفسى من تصور أن  
جاهين قد حافظ على الخوف،  
ورفض قتله حرصا عليه، وفى  
الوقت ذاته خوفا منه، أى أنه  
حفاظ ضمنى على استمراره،  
باعتباره جزءا من طبيعتنا

إن داخله الذى جرع الأمان

.....

ثم ننقل الأسبوع القادم إلى: "رباعيات الخيام"، فزرى فروقا دالة ومهمة!!

- [1] المقتطف من كتاب "رباعيات ورباعيات" (الطبعة الأولى 1979، والطبعة الثانية 2017) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط.
- [2] الأرقام في كل الدراسة تشير إلى (رقم الرباعية قبل الشرطة/ ثم إلى رقم الصفحة الرقم التالي بعد الشرطة) في طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977.
- [3] صلاح عبد الصبور "يوميات نبي يحمل قلمًا، ينتظر نبيا يحمل سيفًا" في مسرحية (ليلي والمجنون).
- [4] طنبل: تحامق (الوسيط)، وكنت أودّ أن أستعمل الكلمة العامية طنّش، ولكن...
- [5] يحيى الرخاوي "العدوان والإبداع" "مجلة الإنسان والتطور" عدد يوليو 1980، ص 94 - 28.
- [6] فضفض الشيء: اتسع، وفضفض الثوب: وسّعه، واستعمال هذه الكلمة بالعامية، قد يعنى توسيع الصدر بالتنفيث عن مخزون من الهم. لهذا استعملتها في كل هذه المعاني داعيا إلى مثل ذلك

يطغى حلو الداخلى (الذى ذاق  
الأمان) على قرار الخارج الذى  
أدركه الواقع، فالضياح  
العدمى والجزن الاعتمادى لم  
يتغلغلا أبدا إلى عمق وجوده،  
ولم يستطيعا أبدا أن يفسدا  
مفعول جرعة الأمان المبدئية،  
مما كانت خير كافيّة

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD250120.pdf>

\*\*\* \*\*

## مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً... نذهب أبعد

### اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

#### اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

#### اشتراكات العضوية بالدفع الإلكتروني

#### 1 - عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=275&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3)

#### 2 - عضوية "الشريك الفخري الماسي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=116&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3)

#### 3 - عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=117&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3)

#### - اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

مرفق رابط مستند الهوية البنكية للمؤسسة

[www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf](http://www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf)

#### - اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

Dr. Jamel TURKY ( Sfax - TUNISIA )

ARABPSYFOUND President